الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2298 - السنة الثامنة
الثلاثاء 14 محرم 1437 - الموافق 27 اكتوبر 2015
Tuesday 27 October 2015 - No.2298 - 8th Year

البيئة التي يعيش بها بمثابة التربة التي ينمو بداخلها

دور المجتمع في تنشئة العلماء

للمجتمع في تنشئة العلماء دورٌ كبير، فالمجتمع الذي يعيش فيه العالم يُعدّ بمثابة البيئة التي يتنفس فيها والأرض التي ينمو في تربتها ومن خلالها؛ ومن ثمّ فإنه لكي ينشأ العلماء فلابد من مجتمع واعٍ وفعّال، يُقدّر للعلماء قدرهم، ويُنزلهم مكانتهم التي أنزلهم الله إياها.

والحقيقة أن هذا الدور ليس من قبيل الترف أو الفضل، وإنما هو فرض وواجب على المجتمع تجاه العلماء؛ إذ هم ورثة الأنبياء، وهم الذين زكاهم الله عز وجل ورفع قدرهم فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11].

ويروي عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ".

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا".

ومثله ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ، وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ".

تكريم العلماء والتواضع لهم

فدور المجتمع إذن في تنشئة العلماء دورٌ مهمّ وجليل، ويتمثل في توقير العلماء وتقديره لهم وتكريمه إياهم والنظر إليهم بعين الإكبار والإجلال والتعظيم.

وذلك تمامًا بتمام كما كرّم الإسلام العلم، ورفع قدره وأعلى من شأنه وأهله!!

وعلى هذا فإن تكريم المجتمع للعلماء ليس تكريمًا لأشخاصهم بقدر ما هو تكريمٌ للعلم في صورة أشخاصهم.

ومثل هذه الصورة المثلى لم تُعدم في المجتمعات الإسلامية في عصور قوتها، حتى غدا التواضع للعلماء في هذا المجتمع رفعة، وحتى عُدّ احترامهم والخضوع لهم فخرًا!! فهذا حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته وقرابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأخذ بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه رغم صغر سنه ويقول: "هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا"!!

ولن نعجب حين نرى الشافعي رحمه الله وهو يقول: "كنتُ في مجلس مالك وأريد أن أصفح الورقة فأصفحها صفحًا رقيقًا؛ هيبة له لئلا يسمع وقعها"!!

ومثله أيضا الربيع بن سليمان يقول: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ؛ هيبة له"!!

وهذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الجماعات فإن يوسف بن موسى المروزي يحكي فيقول: كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت منادِيًا ينادي: يا أهل العلم، لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا جميعًا إليه!!

ثم تابع فقال: وكنت معهم، فرأينا رجلاً شابًا ليس في لحيته بياض (أي صغير السن)، فاحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلسًا للإملاء، فأجابهم إلى ذلك، فقام المنادي ثانيًا في جامع البصرة فقال: يا أهل العلم، لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فأجاب بأن يجلس غدًا في موضع كذا .." !!

فهو ينادي في المدينة كلها بقدوم عالم إليها ليس من أهلها، فترى الناس وقد قاموا إليه، وأحاطوا به من كل جانب، يريدون أن يستفيدوا من علمه، فيطلبوا منه مجلسًا لذلك، وحين يحدد ذلك العالم (وهو البخاري) الموعد ينادي المنادي من جديد؛ يعلم الناس بموعد مجلس العالم المغترب، كي يكون لقاؤهم معه واحتفاؤهم به!!

ولقد كان الناس يجتمعون بالآلاف حول البخاري رحمه الله ليعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو دون العشرين من عمره!!

يتمثل أيضاً في توقير العلماء وتقديره لهم وتكريمه إياهم والنظر إليهم بعين الإكبار والإجلال والتعظيم

تكريم الناس لهم ليس تكريمًا لأشخاصهم بقدر ما هو تكريمٌ للعلم في صورتهم

عندما تضعف الأمة!!

وعلى النقيض من ذلك، ترى الأمة في حال ضعفها لا توقر العلماء ولا تنزلهم منزلتهم ولا ترفعهم قدرهم، بل قد تعلي من شأن المطربين واللاعبين واللاهين ولا تأبه بوجود العلماء!! ولا شك أن هذه علامة من علامات الوهن الشديد، وهي متكررة في معظم مراحل الأمة.

ومما يُذكر في ذلك أن عبد الملك بن حبيب السُّلميّ عالم الأندلس وفقيهها سمع أن زرياب (المغنّي) قدم الأندلس في عهده، فاحتفى الناس به أيما احتفاء، وصاروا يقلدونه في كل شيء، وبذل له الرؤساء الأموال، حتى بلغ من ذلك أنه غنّى يومًا بين يدي الأمير عبد الرحمن الثاني ابن الحكم، فطرب الأمير لذلك لحسن صوته وعذوبته طربًا شديدًا، فأعطاه ألف دينار دفعة واحدة، وكان عبد الملك بن حبيب فقير الحال، لا يكاد يجد من يعينه على العيش، فقال شاكيًا حاله وعائبًا على أهل زمانه:

صلاح أمري والذي أبتغي ××× سهل على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر وأقل بها ××× لعالم أوفى على بغيته
زرياب قد يأخذها دفعة ××× وصنعتي أشرف من صنعته!

وإن تعجب فعجب بمن يُقدّم صاحب صنعة ما، أنّى كانت، على صاحب صنعة العلم ووريث الأنبياء!! وإنك لن تراهم في ذلك إلا أصحاب الأهواء والشهوات.

وليت شعري ماذا كان سيقول عبد الملك بن حبيب لو رأى زماننا الذي نعيشه؟! وماذا لو رأى جانبًا أو لونًا من تكريم أرباب الفن واللعب فيه؟!!

على أن الذي نقصده هنا هو أن المجتمع الإسلامي في فترات قوته، والتزامه أحكام الإسلام قد حفظ مكانة العلماء وصانها لهم، وبوّأهم ما يستحقونه من الحفاوة والإكرام، والمنزلة العالية، والدرجة الرفيعة، فسادَ المسلمون الدنيا وملؤوها علمًا ومجدًا وحضارة.

وإن مثل ذلك لو تم القيام به على الوجه الأكمل، فمن شأنه أن يحفّز الشباب على بلوغ درجات العلماء، فوق أنه سيجعل باب الإبداع والابتكار مفتوحًا على مصراعيه، فيعود من جديد مجد المسلمين وحضارتهم إلى الريادة والصدارة، وتراهم وقد انطلقوا في أصقاع الأرض، ينشرون العلم، ويبشّرون الناس، ويدلونهم على حقيقة إنسانيتهم وأسرار خلقهم!!

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد البرازيل .. أول المساجد بأمريكا اللاتينية

بهمة عالية وعزم لايلين وقروش قليلة، بدأ المسلمون الأوائل في البرازيل يفكرون في بناء مسجد البرازيل، أول المساجد في أمريكا اللاتينية.

فبعد اقتناعهم بأن عودتهم لبلادهم أصبحت صعبة وأن ضرورة البقاء في البرازيل للتجارة والبحث عن لقمة العيش أصبحت راجحة، قاموا بتاسيس الجمعية الخيرية الإسلامية في مدينة " ساو باولو " بتاريخ 10 يناير 1929م، وكانوا يؤدون الصلوات في صالة مستأجرة.

عام 1941 بدأ المسلمون يخططون ويجمعون التبرعات لبناء أول مسجد في أميركا اللاتينية، وقدموا الغالي والنفيس من أجل هذا الهدف، وتوجد الكثير من القصص التي تتبادلها الأجيال لمدى التفاني في البذل والعطاء من أجل تحقيق هذا الحلم، وساهمت مصر في ذلك الوقت عن طريق تبرع من الملك فاروق بشيك بقيمة خمسمائة جنيه، والأمير محمد علي بشيك بقيمة 100 جنيه.

وفي عهد الرئيس جمال عبد الناصر أولى عناية خاصة بدعم المسجد حتى يكتمل البناء، وأرسل النجف والمنبر من مصر خصيصا لهذا المسجد ثم أتبع ذلك بإرسال أول داعية للبرازيل الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل رحمه الله، والذي كان له دور القيادة لإنشاء مؤسسات الجالية التي سيعود نفعها لعشرات الأعوام وتمثل البنية الأساسية لاحتياجات الجالية "المدرسة الإسلامية - المقبرة الإسلامية - نادي الجالية".

حظي المسجد خلال الفترة الأخيرة بقيادة دينية لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الحميد متولي نائب رئيس المجلس الأعلى للائمة والشؤون الإسلامية في البرازيل، والذي قام بتفعيل النشاطات الدينية المختلفة، دروس للرجال وأخرى للنساء وثالثة لمعتنقي الإسلام وأخرى لتجويد القرآن، وبرامج لزيارات المدارس والجامعات.

وقد صرح الشيخ عبد الحميد متولي "إنه بفضل الله لايكاد يمر أسبوع دون أن يقصد المسجد بعض البرازيليين لاعتناق الإسلام، وأن المسجد أصبح مقصدا لوسائل الإعلام البرازيلية والعالمية لمعرفة أحوال الجالية المسلمة والتعرف عن قرب على تعاليم الإسلام".

تزين المسجد بحلة جديدة خلال شهر رمضان المبارك لكي يبرز حضارة العالم الإسلامي، هكذا صرح ناصر فارس رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية والذي يخطط لمستقبل الإسلام خلال الـ20 عاما القادمة، واتخذ من أجل ذلك بعض الخطوات الهامة، فتم تهيئة مقر للمجلس الأعلى للائمة والشؤون الإسلامية في البرازيل داخل مسجد البرازيل، ويتم العمل على توسعة المسجد والمرافق الخاصة به من خلال شراء البيوت المجاورة، وسيتم العمل على إنشاء 5 مدارس إسلامية داخل مدينة "ساو باولو" وكذلك التخطيط لإنشاء جامعة إسلامية.

خلال شهر رمضان قام مسجد البرازيل بتوزيع 3000 سلة غذائية و3000 غطاء، ويتم تقديم وجبات الإفطار يوميا لأكثر من 300 شخص ووجبات السحور، ويزداد هذا العدد نهاية الأسبوع ليصل إلى 700 مستفيد، كانت ليلة القدر ليلة مميزة حيث شارك فيها قرابة ألف مسلم من أبناء الجالية استمروا من المغرب إلى فجر اليوم التالي وقدمت لهم جميع التسهيلات للتفرغ للعبادة والدعاء.

رسم صورة إيجابية عن الإسلام والتعريف بسماحته ودعوته للسلام والتضامن والتعايش السلمي مع المجتمع هو هدفنا، هكذا صرح ناصر فارس رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ومن أجل ذلك سنقوم بتوزيع 1300 نسخة من كتاب الرحيق المختوم باللغة البرتغالية يوم عيد الفطر المبارك.

المسلمون في البرازيل قاموا ليلة أمس في الكثير من المساجد بالآلاف يدعون الله أن يعم السلام على كافة البلاد، وأن يحفظ الله جميع بلاد المسلمين.

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»

اسم الله .. الملك

إن من أسماء الله الحسنى: الملك، وإن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة قال تعالى

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)» (سورة الحشر)

وقال تعالى: «مالك يَوْم الدِّين» (سورة الفاتحة)

وعند السادة الشافعية يجب أن نقرأ في الركعة الأولى: مالك يوم الدين، وفي الركعة الثانية: ملك يوم الدين، وقد ورد هذا الاسم في آية أخرى قال تعالى:

«في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)» (سورة القمر)

وفي آية رابعة قال تعالى:

«قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)» (سورة آل عمران)

وفي آية خامسة قال تعالى:

«فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)» (سورة يس)

تعريف الملك:

القدرة على التصرف إذا هو من أسماء الذات، وهو من أسماء الأفعال، فيمكن أن يكون من أسماء الذات ومعناه: القدرة على التصرف، ويمكن أن يكون من أسماء الأفعال ومعناه المتصرف، حديث قدسي:

((أنا ملك الملوك، ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن العباد عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، وادعوا لهم بالصلاح، فإن صلاحهم بصلاحكم))

الله: ملك بل مالك الملوك ومعنى هذا أن أي شيء يُملك مالكه الله سبحانه وتعالى، وقال بعض العلماء: الملك هو الذي يحكم ولا يملك، والمالك هو الذي يملك ولا يحكم، والله سبحانه وتعالى مالك وملك.

أحيانا يملك الإنسان الشيء ولا ينتفع به وليس من حقه أن يتصرف فيه، وأحيانا ينتفع فيه ويتصرف فيه ولا يملكه، وأحيانا يملك الشيء وينتفع به ويتصرف فيه وليس المصير له، مثال بيت يملكه ملكا حرا شرعيا يسكنه، فإن صدر قرار استملاك يصبح مصيره ليس له، إذا إذا قلنا إن الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك: يملك الشيء ويتصرف به ومصيره إليه، فتكون أعلى درجات الملكية هي ملكية الله سبحانه وتعالى.

سئل أعرابي يملك قطيعا من الغنم، لمن هذه ؟ قال: لله في يدي، فالمؤمن الصادق: بيته ومتجره، سيارته، خبرته، مكانته، شهاداته، يراها بملك الله عز وجل، مثال: أعلى طبيب في اختصاصه، إذا تجمدت خثرة في دماغه، يفقد ذاكرته فمصيره إلى مستشفى المجانين، إذا من مالك الملك ؟ الله سبحانه وتعالى.

هذه العين التي ترى بها، من مالكها ؟ الله سبحانه وتعالى، هذه الأذن، هذا اللسان، هذه الحركة، هذه القوة، أي من لوازم الإيمان: أن ترى أن كل شيء بحوزتك هو ملك لله عز وجل سمح لك أن تتصرف به، لمن هذا القطيع يا فلان ؟ لله في يدي، وبيتك لله في يدك، ومتجرك لله في يدك، وسمعتك ومؤلفاتك وعلمك وذكاؤك لله في يدك.

الآن إذا قلنا: فلان ملك، نقصد بها حقيقة أم مجازا؟ العلماء قالوا: لا يمكن أن يملك حقيقة إلا الله، وأي وصف للملكية لغير الله فهو وصف مجازي وعلى سبيل المجاز فقط، لأن الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، فهل من ملك يستغني في ذاته عن كل موجود ؟ ألا يشرب، ألا يستنشق الهواء، ألا يأكل، ألا يشعر بحاجة إلى النوم، ألا يخاف، ألا يحزن، ألا يتمنى أن يكون له أعوان كثر، إذا أي إنسان مفتقر في وجوده وفي صفاته إلى إنسان آخر، لا يمكن أن يكون ملكا حقيقيا، الملك الحقيقي هو الله عز وجل، وإذا سمينا فلانا ملكا فهو من باب المجاز.

الملك الحقيقي الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاجه كل موجود، بل لا يستغني عنه شيء في شيء لا في ذاته ولا في صفاته، فهو ملك في ذاته، في وجوده، في صفاته، مستغنيا عن كل شيء، بحاجة إليه كل شيء، هذا هو الوصف الدقيق للملك ولا ينطبق إلا على الله عز وجل، إذا الملك الحقيقي هو الله، وكل من يصف نفسه أنه ملك أو مالك هذه الدار أو مالك هذه الدكان أو مالك هذه التجارة أو صاحب هذه الشركة هذا من باب المجاز، أعرف جيدا الحقيقي رحم الله عبدا عرف حده فوقف عنده.

الله سبحانه وتعالى: مالك مُلك، الشخص الذي لا يستطيع أن يملكك فليس ملكا، فمن لوازم هذا الاسم أن الله مالك مملك، والدليل قال تعالى:

«قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)» (سورة آل عمران)

والملك الحقيقي الذي يملك هواه ولا يملكه هواه، والذي أعتق من أسر نفسه وليس ملكا لنفسه، قال تعالى:

«رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)» (سورة يوسف)

هذه الآية دقيقة جدا: سيدنا يوسف يصف بأن الله قد آتاه الملك: أي مُلك آتاه ! لعلكم ظننتم أنه كان أمينا على خزائن الأرض، أغلب علماء التفسير قالوا: لا، بل آتاه الملك الحقيقي فهذا الملك الذي يؤتيه الله لمن يشاء ملك زائل، وليس فضيلة يفتخر بها، فما هو الملك الحقيقي ؟ هو أنه ملك نفسه، لمجرد أن قال: معاذ الله حينما دعته امرأة ذات منصب وجمال، حينما قالت هيت لك قال معاذ الله، قال علماء التفسير: هذا هو الملك الحقيقي، الملك الذي لا يزول، الملك الذي تسعد به إلى الأبد، أن تملك نفسك ولا تملكك، أن ينقاد لك هواك ولا تنقاد له، إذا انقاد لك هواك وسيطرت عليه فأنت ملك، إذا سيطرت على نفسك فأنت ملك، إذا ملكت زمام نفسك فأنت ملك، إذا سيطرت على شهواتك فأنت ملك، إذا قدت نفسك إلى طريق الخير والسعادة فأنت ملك أما إذا قادتك نفسك إلى الضلال والشهوات والمعاصي والآثام أنت مملوك، إذا قادك عقلك أنت ملك، إذا قادك هواك فأنت مملوك، وشتان بين أن تكون ملكا وبين أن تكون مملوكا.